باحثات

كتابٌ متخصصٌ يصدر عن تجمّع الباحثاتِ اللبنانيّات

لجنة التنسيق:

أنيسة الأمين مرعي
نجلاء حمادة
نهوند القادري
مارلين نصر

الكتاب السادس ١٩٩٩ - ٢٠٠٠

الإعلام والاتصال في مجتمعاتنا

تدقيق اللغة العربية: عبد الأمير مهنّا

تصميم الغلاف: نجاح طاهر
خطوط: حسين ماجد

الآراء الواردة في الأبحاث لا تعبّر عن وجهة نظر تجمع الباحثات، بل تعبّر عن آراء كتّابها.

السعر

لبنان	:	15.000 ليرة
سوريا	:	360 ليرة
المغرب	:	50 درهم
مصر	:	15 جنيه
الأردن	:	10 دنانير
إ. ع. م	:	40 درهم
السعودية	:	40 ريال
تونس	:	8 دنانير
الكويت	:	3 دنانير
أوروبا وأميركا	:	12 دولار أو ما يعادله

تجمع الباحثات اللبنانيات
لبنان - بيروت - الصنائع -
مركز توفيق طبارة الاجتماعي
ص.ب: 5375/ 113
تلفون+ فاكس: 739726
E-mail:
bahithat @ cyberia.net.lb

المحتويات

مقدمة ..... لجنة التنسيق ٤

المحور الأول: بعض أوجه التحكم في الإعلام

الإعلام العربي على مشارف القرن
الواحد والعشرين .....ادمون غريب وخالد منصور ١٤
تطور ملكية وسائل الإعلام المرئي والمسموع في لبنان .....علي رمال ٣٧
صورة العالم الخارجي في وسائل الإعلام اللبنانية ..... نبيل دجاني ٦٤
الإعلام الجهوي في المغرب: الورشة المنسية ..... لطيفة آخرباش ٩٧

المحور الثاني: تحولات في أشكال التعبير الاتصالي

الميديا بين الحرف والصورة ..... ايلي ضومط ١١١
إشكالية التجديد اللغوي في الصحافة المكتوبة ..... هلا الزعيم ١١٢
الصورة ما بين النصّ والحركة الدرامية ..... جنى الحسن ١٣٣

المحور الثالث: أوجه استخدام وسائل الإعلام والاتصال

الأسرة في ظل «منظومة الاتصال»:
إزدواجية التواصل والتباعد .....نهوند القادري ١٤٦
ظاهرة التلفزة بين الوهم الجماعي والتعاطي الإيجابي ..... زهير مناصفي ١٧٢
العنف وبرامج الأطفال التلفزيونية .....ندى مغيزل نصر ١٩٨
المسنون ووسائل الاتصال في مصر بين
الكلمة المطبوعة وثقافة الصورة .....نجوى أمين الفوال ٢٠٥
الإنترنت ودور المدرسة ..... كلاديس سعادة عازار ٢٢٤
النشر في لبنان من المطبوع إلى الإلكتروني ..... مود اسطفان ٢٦٠

المحور الرابع: صور المجتمع في الإعلام

صورة المجتمع المصري في الخطاب الصحفي
في التسعينات ..... عواطف عبد الرحمن ٢٦٢

وجه المجتمع، نماذج من الملفات الاجتماعية ..... ملحم شاوول ٢٩٠
خطاب الجهاد في إعلام المقاومة ..... عباس مزنّر ٣١٧
علاقة حب محرّمة: الإعلام العربي والمقاومة ..... ساطع نور الدين ٣٤٤
المسلسل التلفزيوني ورؤيته الدرامية للمرأة .....وطفاء حمادي ٣٤٨
سينما نسائية؟ أفلام ايناس الدغيدي ونادية حمزة ....جين سعيد المقدسي ٣٦٥

المحور الخامس: حظوظ وحدود ممارسة المهنة لدى الإعلامية/الإعلامي

الحضور النسائي في وسائل الإعلام اليمنية رجاء المصعبي وخالد الشعبي ٣٨٨
المرأة واتخاذ القرار في وسائل الإعلام المصرية ..... ليلى عبد المجيد ٤١٣
الصحافي والمؤرخ (ميشال شيحا نموذجاً) .....رفيق شيخاني ٤٤٩
صحافية أم امرأة تعمل في الصحافة؟ .....فاطمة عيساوي ٤٥٠

سير إعلاميات

ماما نعم وأربعون عاماً صحافة .....نعم الباز ٤٦٦
محطّات في السيرة ..... سونيا بيروتي ٤٧٨
تجربتي الإعلامية ..... توجان فيصل ٤٨٥
ذاكرتي على الطرقات ..... منى سكرية ٤٩٨

مراجعة كتب

فكر الاتصال: برنار مياج .....مراجعة: سعاد حرب ٥٠٨
الخطاب الإعلامي لوسائل الإعلام الجماهيرية:
باتريك شارودو .....مراجعة: أحمد زين الدين ٥١٦
عولمة الاتصال: أرمون ماتلار ..... مراجعة: إياد عبيد ٥٢٢
وسائل الإعلام، التكنولوجيا والمجتمع:
بريان وينستون ..... مراجعة: عماد بشير ٥٢٩

الملاحق

ملخصات الأبحاث ٥٣٦
المساهمون في هذا الكتاب ٥٥١

مقدّمة

عندا تبلور هذا الكتاب في تصوّرنا كمشروع نطلّ منه مع القارئ على موضوع الساعة المرافق لأبناء وبنات زمننا في التسلية والثقافة والسياسة والبيع والشراء، كان تصوّرنا يتمحور حول ثنائيات عديدة:

الكلمة والصورة، إنتاج الإعلام وتلقيه، العولمة والتصدّي لها وغير ذلك من ثنائيات وتساؤلات. كان في أذهاننا إشكاليات مثل: هل الصورة التي تنقل الخبر مباشرة هي أصدق من الكلمة التي تنقله مداورة؟ هل الكلمة هي لغة العقل بينما الصورة هي لغة الحواس والشعور؟ وهل أدّى تراجع الأيديولوجيات أمام غزو وسائل الأنباء والاتصال إلى هيمنة الزمان على المكان بحيث بات الناس يعيشون في جميع أمكنة الزمن الراهن وكأنهم في اللامكان؟ وإلى جانب تساؤلات كهذه، نظرية أو عامة، بقي هاجسنا الأساسي سياسياً اجتماعياً قوامه تأثير الإعلام وطول باعه في مجتمعاتنا المستهلِكة والمستهدَفة، هذه المجتمعات يحظى بعضها بفسحة للنقاش وتبادل الرأي ويعاني بعضها الآخر من تحكم بالصورة والخبر والرأي، مما يؤدي إلى ضياع الوجه الفعلي للمجتمع في الإعلام. من هنا تأتي أهمية مقاربة العلاقة التفاعلية بين الإعلام والمجتمع.

وكالعادة جاء الواقع مختلفاً عن التصوّر، فكان أقلّ تنظيماً لكنّه أكثر غنى وحيويّة. وجاءتنا

لجنة التنسيق

الأوراق من أجزاء مختلفة من الوطن العربي، ومحورت نفسها كما يلي:

المحور الأول: بعض أوجه التحكّم في الإعلام

كانت الصحافة تعرّف بـ «السلطة الرابعة» ولم يعد هذا التعريف يُذكر كثيراً لأن الإعلام بتداخله مع المال والسياسة غدا سلطة كبرى تطغى أحياناً على السلطات التقليدية وقلما تنفذ هذه الأخيرة من تأثيره. والسؤال الملحّ في عالمنا العربي هو: «هل الإعلام سلطة لنا أم سلطة علينا؟» وفي تساؤلنا غصتان واحدة إزاء استغلال الإسرائيليين للإعلام ممّا جعل الرأي العام العالمي يقف بجانبهم، وأخرى إزاء قصور إعلامنا وضعف سطوته مما أضعف قدرتنا على مساندة قضايانا حتى وإن كان المنطق والحق إلى جانبنا. وبما أن الإعلام والاتّصال هما من صنع الأغنياء والمقتدرين والممسكين بعصب التكنولوجيا، وبما أنهما أولاً وأخيراً من صنع البلدان الغربية، حيث ولدا في رحم المجتمعات الصناعية وتغذيا منها وغذياها، فإننا نحن العرب، شعوباً وبلداناً ما زلنا نمثّل في حيّزهما دور المستهلكين.

هذه الغصات وما يرادفها من تطلعات تشكّل خلفية للدراسات الأربع المنشورة في هذا المحور والتي تتناول بعض المؤثرات التي تحكم الإعلام كالعولمة وملكية الوسائل والتحيّز المديني.

تفنّد دراسة أدمون غريب وخالد منصور إيجابيات وسلبيات تأثير العولمة على الإعلام في العالم العربي. وتصف الدراسة ما أدى إلى العولمة من تقدّم تكنولوجي وتقني مطرد كان من نتائجه أن تدفقت المواد الإعلامية على جميع الأصقاع بحيث لم تعد الحرية ولا التسلط يقدران على الإحاطة بها، خاصة أن سهولة الاتّصال عقّدت مراقبة البثّ والنشر. من هنا فإن أهم إيجابيات عصر العولمة، كما يراها الكاتبان، هو قيام محطات تلفزة فضائية وإصدار صحف باللغة العربية. ممّا شكّل حيّزاً للديموقراطية ومنابر جماهيرية وأدّى، في رأيهما، إلى تكوين رأي عام عربي بعيداً عن وجهات نظر الحكومات. أما أكبر سلبيات العولمة، فتكمن في احتكار المراكز الغنية والمتقدمة تقنياً لسوق الإعلام، ممّا يتنافى مع التعددية.

وتكاد دراسة نبيل دجاني ترد على مقولة غريب ومنصور على الأقل بالنسبة لما استنتجه الباحث عن الصحافة اللبنانية، التي تبين أن العولمة لم تمنعها من إعطاء الأولوية للأخبار اللبنانية، ثم العربية فالأوروبية وخصوصاً الفرنسية على حساب البريطانية والأمريكية، إلاّ أنه يجد الوضع مختلفاً ومعولماً في حيّز محطات التلفزة

حيث غالباً ما تنساب المعلومات من الـ CNN والـ BBC. ويلاحظ دجاني نزوعاً بارزاً في إعلامنا المحلي إلى التركيز على أخبار السياسة والسياسيين. وفي رأيه، لو تأثر حراس البوابة هؤلاء بأنماط العولمة لأكثروا نسبياً من أخبار المواطنين العاديين.

وبعيداً عن العولمة وتأثيرها أو عدمه يتناول علي رمال مؤثرين هامين هما ملكية وسائل الإعلام والقوانين التي تحكمها. وهو يرى أن ملكية وسائل الإعلام ابتدأت محتكرة قانونياً وفعلياً من قبل الدولة لتغدو ملكيتها متعدّدة في زمن «التشرذم» والخروج على القانون لتعود في زمن «الوفاق الوطني» جزئياً إلى الدولة وغالباً إلى المتنفذين فيها. على الرغم من القوانين التي تعارض امتلاك الوسائل بهذا الشكل، وهذه النسب ومن قبل الطوائف وملوكها.

أما لطيفة آخرباش فتتكلم عن ضعف الإعلام المغربي في المناطق الريفية رغم قيام اللامركزية في البلاد، بالرغم مما كان في المغرب سابقاً من إعلام أكثر تعددية وديموقراطية. وتصف أخرباش مؤثرات هذا الضعف من تعزيز للأمية وبعد عن المشاركة والاستفادة في الحياة المدنية العملية وإن في المجالين السياسي والثقافي.

ولعل إهمال الأطراف الذي تتحدث عنه أخرباش هو ظاهرة عامة نجدها في مختلف البلدان، وما تطلبه الكاتبة وتسعى إليه هو إعلام متطوّر يمتلك القدرة على الوصل وإسماع جميع الأصوات. ومطلبها هذا، في شقه الأخير، يتطلّب عدالة وديموقراطية فعلية. قد تفتقر إليها حتى أكثر الدول تطوّراً.

المحور الثاني: تحوّلات في أشكال التعبير الاتصالي

إن الدراسات المدرجة في هذا المحور تتناول الإشكالية التي انطلقنا منها في تصوّرنا ألا وهي الانتقال، إلى حدّ بعيد، من إعلام الكلمة إلى إعلام الصورة. وفيه دراسة لإيلي ضومط تعدّد وتحلّل ما نتج عن هذا الانتقال. وثانية لهلا الزعيم تكاد تجيب على الأولى معتبرة أن إعلام الصورة شكّل تحدّياً لإعلام الكلمة وتطوّر تبعاً له. وثالثة لجنى الحسن تناولت شكلاً من أشكال التعبير لم يخطر لنا من قبل ألا وهو الرقص المسرحي. ومع أن الرقص كنمط لإيصال فكرة أو رسالة لا يُعتبر إعلاماً إلاّ أنه كتعبير يهدف إلى التواصل عبر أداء يقوم على استلهام الكلام وتمثيله، مما يجعله مكمن تأمّل وغنى للإشكالية كونه جامعاً بين لغة الصورة ولغة الكلمة.

يعتبر إيلي ضومط أن الحديث عن الميديا اليوم يأخذ كل شرعيّته وقيمته من

قوة الحقل التلفزيوني. فلكي تصبح ظاهرة ما حدثاً يجب بالضرورة أن تمرّ أمام كاميرا التلفزيون. وهذه الكاميرا الناطقة هي سيف ذو حديّن: أولاً لأن عالم الميديا ليس عالماً صافياً. فالتلفزيون، والتجاري منه بشكل خاص، محكوم بضغط السوق ونسبة المشاهدة. من هنا نفهم مدى التواطؤ البنيوي بين موجبات السوق ومبدأ الفعالية القائم هنا على الصورة/المشهد، وما يعني هذا من تسلية واندهاش أكثر مما يعنيه من إقناع. وثانياً لأن اعتماد السوق على وفرة الطلب وتوقّف هذه الوفرة على «حسن» العرض يؤدي إلى جعل الخطاب محكوماً بالإغواء أكثر مما هو محكوم بالإقناع. فأمام الصورة يكون المشاهد متلقياً ينظر إلى ما يتلقاه على أنه الواقع، فيصبح بهذا خارج المسار الجدلي الذي تطرحه الكلمة المكتوبة. ففي هذه اللحظة التي نعيشها من التاريخ غدت الكينونة مرتبطة بالظهور في المرئي: «أن تكون، هي أن تكون منظوراً»، ولم يعد السياسيون والمثقفون وغيرهم يجدون مندوحة من الانزلاق في هذه الصناعة.

يرى ضومط هذا الانزلاق من زاوية التحليل النفسي فغلبة الصورة على الكلمة ليست «موضة» أو موجة بريئة وليدة الصدفة، بل هي خطر على الثقافة والتواصل الحضاري إذ تنطوي على غلبة للنزوة والنرجسية والمتعة على الرمز والخطاب واللوغس، غلبة للأنا البدائية على الذات الاجتماعية.

أما هلا الزعيم فوجدت إثر دراسة أجرتها على أربع صحف فرنسية أن اللغة، خصوصاً المكتوبة منها، لا تقف مكتوفة اليدين أمام التوسّع الهائل للمجال الاتصالي. فهي بطبيعتها اجتماعية، تجدّد نفسها لتقترب أكثر من تصوير الواقع وبالتالي لتلبي ما يطلبه الناس في زمن تدرّبوا فيه على المرئي. قد وجدت الباحثة أن التجديد يتمّ في المفردات عبر الابتكار والتركيب والاستعارة. وتبيّن لها أن هذا التجديد هو أكثر تواتراً في مجال الثقافة أولاً، ثم في المجالات السياسية والاقتصادية المحكومة من المجال الاتّصالي.. ففي مجال السياسة لا يمكن أن يكون استخدام المفردات الجديدة محايداً. كذلك فإن إدخال مفردات من ثقافات مغايرة غدا أمراً شائعاً، إلاّ أنه يتمّ في سياق توجيه القارئ حسب سياسة الصحيفة باتّجاه التأثير عليه. وفي كثير من الأحيان يكون بهدف تثقيفه أو إغنائه بثقافات شعوب أخرى. وتقول الزعيم في هذا السياق: «إن صياغة الكلمات كمزج الألوان، هادئة وحالمة تهدف الموقف المتعاطف، صاخبة وحامية تهدف الموقف المتصلّب.

وتصف جنى الحسن تجربتها المسرحية الراقصة في إعداد وتنفيذ «برمة

الحوض»، وتتحدث عن تحويلها النصوص النثرية والشعرية إلى أداء بصري يتحرّك فيه الراقص/الممثل لخلق شخصية تعكس مشكلاتنا وتحدياتنا. فهي عملت على تبسيط النصوص الأدبية وتفكيكها وتوضيحها، مازجة إياها بأمثلة شعبية عن المرأة، ثم تركت الممثلة/الراقصة لتستوحي من تراث حركي، إلى جانب التراث الأدبي، لتعبّر عن المعاني بحركة اليدين والردفين والكتفين. فكانت المحصلة صوراً تأسر المشاهد، ذلك أن المتعة الصورية هي، في رأيها، أقوى وأعنف مما تحمله الكلمة.

المحور الثالث: أوجه استخدام وسائل الإعلام والاتّصال

تبين من دراسات هذا المحور أن السياقات الاجتماعية، بخصائصها الثابتة ومتغيّراتها، هي التي تعطي غالباً للاتّصال معناه ولونه وخصوصيته. ولأن استخدام الاتّصال يحمل نسقاً يظهر العلاقة بالذات والآخر، فإن محرك هذه الدراسات كان هاجس أن يكون لدينا ما نتّصل به، أن تكون مدارسنا وجامعاتنا منتجة في الإنترنت وأن يستفيد ناشرونا وقُرّاؤنا من هذه الوسيلة، وأن تكون لدينا البنية التحتية الاتّصالية والإعلامية بدل إقدامنا على هذه الوسائل من فراغ يكون قوامه الانبهار والبرستيج والاستهلاك والخوف. كما وجدنا لدى الباحثين توجّساً من أن يكون التعاطي مع الوسائل غاية بحد ذاته، ممّا يجعل العلاقة بها علاقة تلقّ صرف. لذا راحت إشكالية هذا المحور باتّجاه السؤال: «ماذا تفعل أو ستفعل مجتمعاتنا بهذه التقنيات» بدل التساؤل حول ماهية المجتمع الذي تخلقه هذه الأخيرة.

فإزاء المنظومة الاتّصالية الراهنة تتساءل نهوند القادري عن إمكانات الأسرة في مجتمعاتنا في الحفاظ على التفاعل بين أفرادها وعن حظوظها في الاستفادة من البعد المعياري للاتّصال في ظل الفردانية وانكفاء المرجعيات التقليدية وتحوّل الشبكات الإعلامية الاتّصالية إلى بنى اقتصادية يغلب عليها البعد الوظيفي. وتخلص القادري إلى الاستنتاج أن حظوظ الاستفادة ترد في حال الأسر المتوازنة والمرتاحة بينما تكاد تنعدم أو تنعكس ضرراً في حال الأسر المتعثّرة ذوات الأوضاع المتردية.

ذلك أن الباحثة ترى أن لعبة التفاوض التي يقوم بها المتلقي للرسالة الإعلامية تستلزم الكثير من المهارات والإمكانات، وهي أولاً وأخيراً لعبة انتماء.

وينطلق زهير مناصفي من دراسة كيفية استخدام وسائل الاتّصال، ناظراً إلى نسق الاستخدام على أنها عاكسة للعلاقة مع الذات ومع الآخر. وهو إذ يرى أن وسائل الاتّصال تحمل دائماً ثنائية الحرية والقيد، يجد أن ما يطلبه التلفزيون هو

مشاركة انفعالية حسية تدفع بالمشاهد نحو الجهد الأقل ونحو لذة الانسياب مع الآخرين ضمن محاكاة جماعية قائمة على الوهم، فيضع أناه ضمن نحن أسطورية تكره الاختلاف وتقطع الصلة بالواقع.

وتعتبر ندى مغيزل أن التلفزيون هو وسيط بين الطفل والعالم وبين الطفل وذاته، من هنا فهي تخشى أن يفقد الأطفال نزعة التساؤل إذ يعتادون التلقي من التلفزيون. لهذا تصرّ على تعليم الطفل أن يكون متحكماً بالوسيلة الإعلامية بدل الإنقياد لها.

أمّا نجوى الفوال فتصبّ اهتمامها على فئة المسنين بغاية التعرّف على الأبعاد المختلفة للعلاقة بينهم وبين وسائل الاتّصال في مصر، وهي ترصد لهذه الغاية نسب استخدامهم للوسائل المختلفة وتسألهم حول دوافع هذا الاستخدام. ونجد الباحثة إنه رغم تقصير الصحافة في تغطية القضايا المتّصلة بحياة المسنين، ورغم عدم رضى هذه الفئة العمرية عن البرامج الموجّهة إليها، فإن وسائل الاتصال تحتلّ مكانة عالية في حياتهم كنوع من التعويض عن الفراغ الاجتماعي وكدرء للشعور بالعزلة عن العالم. وقد أتى التلفزيون في المرتبة الأولى من بين أدوات الاتّصال التي يستخدمها المسنون، إذ يُنظر إليه على أنه وسيلة متوافرة بأبسط الشروط ومصدر أمثل لما ينشدونه من تسلية وترفيه.

وفي هذا المحور دراستان حول الإنترنيت. واحدة تنظر في استخدامه وثانية في نوعية المواد المتوافرة فيه. فإذ تدرس غلاديس سعاده استخدام تلامذة المدارس للإنترنت تجد أن اللهو هو في مقدّمة الغايات التي ينشدونها من هذا الاستخدام. وتتساءل الباحثة عن دور المدرسة الإنتاجي في استخدام الشبكة، متخوّفة من انفتاح يتمّ في ظل تبعية مطلقة للمنحى والهدف اللذين اختطّهما صانعو التكنولوجيا والدول المصدّرة لها، ومبدية خشيتها من أن نكون نحن فقراء المعلوماتية عرضة للانقياد الدائم لأدوات تزيد من تبعيتنا، متطرقة إلى مخاوف أخرى قد يؤدي إليها هذا الاستخدام كتفاقم حدّة الفروقات الطبقية واستشراء التغريب الثقافي.

أما مود اسطفان فتنطلق من نظرتها إلى أن طريقة استخدام أي مجتمع للتقنيات تعبّر عن خصائصه الثقافية والحضارية. وتجد في هذا الإطار، إن النشر الإلكتروني في لبنان، عبر الويب (Web)، يشكّل وسيلة إضافية لتعريف السوق على الناشر. وهذا النشر تغيب عنه المعلومات العلمية المتخصّصة وتغيب عنه قواعد التبادل العلمي ويغلب عليه الطابع الاستعراضي أو الإعلاني لمعلومات مختصرة حول ما

تقدّمه المؤسسة المعلنة من خدمات. وبعكس هذا، فإن النشر عبر الـ cd rom يتوجّه بالدرجة الأولى إلى الجمهور العربي مقدّماً ما يطلبه هذا الجمهور من موضوعات. وتنتقد اسطفان، بشكل عام، انبهارنا بهذه الوسائل والإمكانات وسعينا إلى البرستيج (prestige) ممّا يحدّ من تفكيرنا في المنفعة العلمية والمادية الناتجة عن استخدام الإنترنت.

المحور الرابع: صور المجتمع في الإعلام

يُعالج هذا المحور مدى صدقية وفعالية تعاطي وسائل الإعلام المختلفة مع ترسيم المجتمع والتأثير فيه. فهو يسأل إن كانت هذه الوسائل معبّرة عن الواقع العام أم أنها تشكّل صدى لمراجع وسلطات بعينها. وإن كانت ساعية من أجل التغيير، إصلاحاً أو تحديثاً، أو منغلقة وقابلة، لا تضطلع إلاّ شكلياً بالدور التغييري المُنتظر منها. هل هي قادرة على خلق رؤى وقيم ثقافية جديدة تتفاعل مع ما هو سائد في المجتمع محدِثة رفضاً أو قبولاً، أم أنها تعيد إنتاج الأوضاع القائمة بشكل لا يقدّم أو يؤخر في ترسيخها أو تقويض دعائمها؟

تندرج ضمن هذه الإشكالية العامة أبحاث تناول أصحابها مضمون الرسالة وشكلها، سواء في البرامج الثقافية أو الاجتماعية أو الفنية أو السياسية.

ينطلق ملحم شاوول من مسلّمة فحواها أن وظيفة الإعلام الجماهيري تختلف بين دول الشمال والجنوب، بحيث تتداخل في المشال أهداف الإنباء والتثقيف والتسلية وينشأ حوار بين مقدّمي البرنامج والمشاركين من أصحاب اختصاص ومن جمهور، في حين يبقى في الجنوب كل هدف من الأهداف مفصولاً عن سواه ويبقى التعاطي بين المقدّمين والمشاركين فوقياً. وفي ضوء هذا الطرح يتساءل شاوول إن كان برانامج «الشاطر يحكي» قد حقق فعلاً المزج بين الأهداف وإقامة الحوار، أم أنه اقتصر على تنظيم الواجهة ومشهديتها، حيث بقي العرض على المستوى الشعوري (التنفيس) وبقيت الأولوية والهيمنة للمعدّ ولأصحاب الاختصاص ورجال الدين. ويستنتج الباحث بعد تحليله لهذا البرنامج أن هذا الأخير وإن أفسح للمشاهدين مشاركة محدودة، إلاّ أنه أعاد إنتاج الأسلوب القديم في تسمية وغلاف جديدين.

وتتناول وطفى حمادي المسلسلات الدرامية، فيقع اختيارها على مسلسل «الرغيف» المقتبس عن رواية توفق يوسف عوّاد. فتبحث في آلية نقل نص أدبي إلى دراما مصوّرة ومحكية، وفي كيفية تحويل النص إلى مشاهد مختارة، وفي أساليب التركيز على الشخصيات المحورية مركزة على الصورة الدرامية للمرأة، باحثة في

التقنيات التي يستخدها كل من كاتب السيناريو والمخرج من أجل إعادة تركيب الصورة الدرامية للمرأة على مستوى الصورة بعد أن تكون مجسَّدة في نص مكتوب. باحثة في الخلفيات الطبقية والنسقية التي يتمّ من خلالها تصنيف الأدوار النسائية في الدراما المتلفزة.

ومن موقع المؤمن يبحث عباس مزنر عن أوجه القدرة الفنية والتأثيرية التي تتجلّى في الطرق الصورية والخطابية الجديدة التي استخدمتها المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان من على شاشة تلفزيونها «المنار»، مما يسّر لها التأثير الإعلامي كما مكّنها من صد إعلام العدو وصدّ أساليبه في تغييب دورها وإلغاء أثرها. وفي هذا السياق، يؤكّد مزنّر على فرادة اللغة الإعلامية للمقاومة وعلى قوّة وقعها إذ تترجم الجهاد والاستشهاد إلى رموز ولغة إعلامية قدسية، مفعمة بالرموز الإلهية والحسينية، ممّا ضاعف قوّة تأثير خطابها وأدى إلى انتشار رسالتها في لبنان والمنطقة العربية.

ويورد ساطع نور الدين رأياً يستعرض فيه سمات العلاقة بين الإعلام العربي والمقاومة الإسلامية اللبنانية، بدءاً من الحذر مروراً بفتح المجال واسعاً أمام المقاومين وصولاً إلى حد التماهي معهم. طارحاً في الختام تساؤلاً حول دور هذا الإعلام على صعيد المقاومة في مرحلة ما بعد التحرير.

وبعيداً عن الوسائل المرئية والمسموعة ترصد عواصف عبد الرحمن كيفية تصوير الصحافة المكتوبة للمجتمع المصري، فتجد أن الصحف على أنواعها صورت المجتمع بالطريقة نفسها، فجميعها نزعت إلى اختصار الدولة بشخص رئيسها، وتكلمت على تحديات الواقع من فقر وبطالة وأمية وفساد. التقت على تهميش الريف والمجتمع المدني. أما الفرق بين صحف الموالاة وصحف المعارضة والصحف الحزبية المستقلة فيظهر للدكتور عبد الرحمن في تحليل أسباب التحديات وفي طرح الحلول لها. كذلك تجد تفاوتاً في اختيار كلّ من هذه الأنواع من الصحف لمصادر أنبائه، إذ تلحظ اعتماد الصحف الموالية على المصادر الرسمية في حين تنوّع الصحف المعارضة والحزبية مصادرها بين أهلي ودولي. ومن حيث الأسلوب، تميّز عبد الرحمن بين الأسلوب السردي لصحف الموالاة والأسلوب النقدي لصحف المعارضة. ورغم الانحياز الطبقي للصحف الموالية والمعارضة الحزبية، إلاّ أن جميعها أخفقت في إنتاج ذهنية جديدة أو في تكوين أيديولوجيا خاصة بها.

وتبحث جين مقدسي في الأفلام السينمائية التي أخرجتها كل من إيناس

الدغيدي وناديا حمزة. فتجد أن هذه الأفلام رغم ارتباطها بموضوعات اجتماعية واسعة كالفقر والفساد وقضية المرأة إلاّ أن ما تصوّره، بشكل أساسي، هو ما يمكن تسميته «عالم النساء». فقلّما تضع إطاراً للأحداث يشير إلى أي من المراحل التاريخية التي مرّت بها مصر.

ورغم تعاطف هذه الأفلام مع النساء وذلك بتصويرهن حيناً ضحايا للمجتمع مغلوبات على أمرهنّ وحيناً آخر قادرات على تحمّل المسؤولية، إلاّ أن الإطار الضيق القاصر عن التصوّر السياسي الاجتماعي الشامل أو عن النظرة الإنسانية الحقوقية يضعف من البعد النسوي لهذه الأفلام.

المحور الخامس: حدود وحظوظ ممارسة المهنة بين الإعلامية ـ الإعلامي

توزع هذا المحور على دراسات أربع: ثلاث منها تعالج موضوع المرأة في الإعلام ذاهبة أبعد من مسألة التمييز ضد المرأة نحو طرح أسئلة وجودية وواقعية مثل: هل تنظر المرأة لعملها كامتداد لأنوثتها؟ وما هو موقفها من المنافسة ومن السلطة ومن المال؟ هل هي غير عابئة بهذه الأمور لكون هويتها مكتملة في مكان آخر، في الأمومة أو في الدور الاجتماعي الذي تلعبه كربة المنزل. والرابعة تعالج أهمية أن يغني الإعلامي اختصاصه باختصاص آخر متجانس معه.

ففي معرض بحثه عن العلاقة التفاعلية بين التاريخ والصحافة، يستعرض رفيق شيخاني حياة المؤرخ السياسس الصحفي ميشال شيحا، فيجد فيه الصحفي الحقيقي، إنطلاقاً من اعتقاده بالعلاقة التكاملية بين الصحافة والتاريخ. فالصحافة تعمل بسخونة وتحمل أفكاراً متناثرة ومتباعدة بينما التاريخ يعمل ببرودة ويعمل على ربط الأفكار بعضها ببعض، إلاّ أن كلا المجالين وسيط للزمن ومستشرف للمستقبل. وبدون المؤرخين المتنورين تدبّ الفوضى وبدون الصحافيين الأحرار المستقلين يسود اللاتسامح. وينهي شيخاني بإبداء القلق من كثرة المصالح في زمننا، ممّا يحمل الصحافيين على مراعاة ما تطلبه منهم الظروف وما تتطلبه مصالح أرباب العمل.

أما رجاء المصعبي وخالد الشعبي فيناقشان وضعاً إعلامياً آخر يتلخّص في صعوبة وصول النساء الإعلاميات إلى مواقع صنع القرار في اليمن وهما إذ يعددان عناصر استبعاد النساء من هذه المواقع، يذكران: التمييز في الظهور المصوّر ضدّ من تخطين سن الشباب، وحصر دور المرأة الإعلامية في تقديم البرامج وعرضها

وعدم إفساح المجال لها في إعداد البرامج، ما خلا برامج الأسرة والأطفال؛ ومواجهة المرأة للكثير من الضغوط الإدارية التي لا تنصّ عليها القوانين ولا يُفصح عنها جهاراً. ويريان أن المسؤول الأساسي عن استبعاد الإعلاميات عن مراكز صنع القرار هو الثقافة الاجتماعية السائدة، التي تعاني من الازدواجية والتناقض بين القول النظري والممارسة العملية.

وتتساءل ليلى عبد المجيد إن كان ارتفاع نسبة العاملات في الأجهزة الإعلامية في مصر، حتى بين القيادات الإذاعية والتلفزيونية، قد أدّى إلى تغيير إيجابي في رسم صورة المرأة في الإعلام المصري. وهي إذ تجيب نفياً على هذا التساؤل، ترى أن أسباب عدم حصول هذا التغيير الإيجابي تتفاوت بين نظرة المجتمع للمرأة ولعملها، ممّا يسبب لها المتاعب والحرج، وبين نظرة المرأة إلى نفسها. ممّا يجعل بعض النساء يبالغن في التركيز على مظهرهنّ الخارجي ويستخدمن أنوثتهنّ للحصول على المكاسب، هذا إلى جانب الأسباب الموضوعية التي تندرج في صعوبة توفيق النساء بين مسؤولياتهن المنزلية والمهنية.

وإذ تجري فاطمة العيساوي تحقيقات مع صحافيات عايشن المهنة وخبرتها في لبنان تحاول أن ترصد مدى تأثير الأنوثة في الوضع المهني لهؤلاء النساء. فتجد أن غالبيتهن يعشن هاجس اختراق سوق العمل المتضخم والحفاظ على الموقع. وهنّ في هذا السياق يبتعدن عن الموضوعات السياسية مكتفيات بالعمل الصحفي البحت ولا يسعين من أجل تبوّؤ المراكز.

أمّا الصعوبات التي تعاني منها الصحافيات فتتراوح بين التمييز ضدّهن في تعيين المهمات وصعوبة بناء العلاقات مع المصدر ووضعهنّ في قوالب مسبقة تجعل من أنوثتهنّ تارة سلاحاً وطوراً عائقاً.

سير لإعلاميات

يحتوي هذا المحور على سير مهنية تلقي الضوء ليس فقط على خصوصية عمل المرأة وإنتاجيتها في الحقول الإعلامية ولكن أيضاً على التبادل الشائك وأحياناً الشيّق بين المجتمع، والمرأة الإعلامية.

كاتبات السير الإعلامية الذاتية يذكّرننا بكون المرأة كائن اتّصالي بامتياز. فرغم معاناة هؤلاء السيدات والتحديات التي واجهنها، غالباً لكونهن سيدات، فقد بقين شغوفات بمهنة المتاعب والتواصل هذه، بقين قابلات، وإن كنّ غير قانعات،

بالمجالات الإعلامية المحدودة التي تفتح لهنّ، حتى عندما تؤهلهنّ ثقافاتهنّ وطول تمرّسهنّ لمسؤوليات أكبر وموضوعات أكثر جديّة.

أتت هؤلاء الإعلاميات من دراسات جامعية، ودخلن عبر الإعلام المكتوب إلى ما تسميه توجان الفيصل «المواطنة العالمية»، أهلتهنّ ثقافتهنّ لرؤية القضايا الاجتماعية والوطنية والسياسية الإنسانية من منظار واسع ومنفتح. كنّ منتميات إلى مجتمعاتهنّ، فشكّلت المناخات العامة والمحطات التاريخية مناخات ومحطات أساسية في حيواتهنّ. فعاشت نعم الباز مرحلة ناصر وتأميم قناة السويس، وعاصرت توجان الفيصل مراحل التنمية في الأردن ورصدت سونيا بيروتي بدايات التلفزيون في لبنان، وعانت هي ومنى سكرية مراحل الحرب الأهلية اللبنانية، إنسانياً ومهنياً. ومع هذا بقي ما تسميه سونيا بيروتي «الدخول إلى المخفي خلف الستائر» الدرب الكاشف لمعرفة خبايا السياسة والمجتمع خصوصاً وأن هذه السياسة تبقى محظورة على كل من هو خارجها.

أكبّت هؤلاء الإعلاميات على الموضوعات الاجتماعية المختلفة. عالجتها من باب التغيير والبناء والكشف والمتابعة وتصوير الحدث والكتابة فيه، مهما كان شائكاً أو قاسياً. من هذا المفصل ذهبن إلى موضوعات الأم والطفل والمرأة. ذهبن من باب امتلاء الإنسان/المواطن فيهن بأنوثة خرجت من التنميط وصارت حقلاً غنياً ومثمراً، تنفعل فيه الذات الحساسة المثقفة بذلك العام الهائم المنسوج بالأحداث الكبرى. إن النجاح المهني لهؤلاء الإعلاميات كان معيار حضورهنّ داخل المؤسسات التي عملن فيها ومعيار تقبّلهنّ واحترامهنّ كصحفيات.

بالختام تبقى الأسئلة في هذا المجال مقلقة، عديدة ومفتوحة، ولعل التحدي الأبرز أمام باحثينا وإعلامينا، وبشكل عام أمام مجتمعاتنا هو كيفية العمل على تخطي مرحلة الاستهلاك، والعمل على تهيئة بناتنا وأبنائنا كي يكونوا مشاركين قادرين على إتقان لعبة الاتصال. مما يشكّل مدخلاً لتواصل فعلي بين الثقافات.

آملات أن يكون هذا الكتاب حافزاً لمزيد من الدراسات والأبحاث ولمزيد من الأسئلة.

لجنة التنسيق